

وهي على ما تم من نعمة ... تتيه بالحسن وبالرونق

ومنها في وصف قشلق:

في رقعة الشام غدت خيلهم ... وذلت الأرخاخ للبيدق

أواه من حمدة نيرانها ... يا نار كيف اليوم لم تحرق

إلى أن قال:

يا ويح قوم دعموا أرضنا ... وأوقفونا في ردى موبق

وقد أغاروا وبنا أحرقوا ... يا غيره الله إلينا أسقي

أجنوا أهالي النور عن دورهم ... بالسيف والدبوس والبنق

واتخذوها سكناً دوفهم ... بالفرش من خز ومن استبرق

واستوعبوا أكثر أمواطم ... ظننا بلا عهد ولا موثق

واقتنع الناس بأعراضهم ... فإنها بالشب لم ترشق

وأرخ ذلك بقوله:

لقد غزينا دون وعد بلا ... لأم فارخ سنة القشلق

وأشار إلى وجوب إسقاط اللام من التاريخ فتبقى سنة ١٠٤١ هـ ١٦٣١ م.

زحنة:

عيسى اسكندر المعلوف.

غرائب الغرب

كنية باريز

كلية باريز من أقدم كليات العالم في التاريخ إن لم تكن أول كلية أنشئت وقد كانت في القرون الوسطى بلا مرء أشهر كلية وأكثرها إيواءً لنظبة فكان علماء الوقت كما قال أحد الفضلاء ينظرون إليها بأنها صاحبة الحق في استخراج كنوز العلوم منكث إراثاً شرعياً صحيحاً وكانت أول كلية أنشئت في العالم كلية بابل أسسها نينوس مؤسس نينوي والمنكة الآشورية الأولى وخلفتها كلية منفيس المصرية وخلفت كلية منفيس كلية آتينا وبعد هذه أنشئت كلية رومية وبعدها قامت كلية باريز واشتهرت كلية بولونيا في تعليم الحقوق كما سبقت كلية باريز غيرها في الآداب المقدسة والعلمية وكان في جوارها عشر مدارس تحيط بها كأنها أم القرى وتلك من أعماها مثل مدرسة الإنكليز ومدرسة الإيكوسيين والألمانين والنومبارديين واليونانيين ولطالما بعث الملوك إليها بأولادهم ليتخرجوا في المنطق ويعملوا رقة الجانب وحسن الأدب والعشرة.

ظلت هذه الكلية منذ القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر تربي معظم الرجال الذين يختلفون إلى العلم فيها وفيهم الشعراء والعلماء والفلاسفة ومن مشاهير من تخرجوا فيها غنيوم أوكام ورايمون لول وتوما داكين وبنوا داناني وبونيفاس الثامن وبرونوتو لاتيني ودانت وتوما موروس وإيراسم وغيرهم وجميع طلابها على اختلاف أصقاعهم كانوا يرتاحون في حماها وكان مطمح أنظارهم حب الحقيقة وهي القاعدة الأصلية فيها وكل منهم يتمتع بحقوقه. ولقد جاء زمن كانت الحياة العقلية محصورة في جدران المدارس إلا أن كلية باريز أعظم منبعث لبث الدعوة إلى الأفكار الفرنسية وكانت وحدها تكفي لإنبارة العالم إلا قليلاً وكان رجال تلك الأزمان ينسبون العلوم إلى

مواطنها ويرجعون الأمور إلى مصادرها فيقولون أن رومية مقر البابوية وألمانيا مقر السلطة وباريز مهد العلم.

وكانت الأفكار الفرنسية — كما قال أحدهم في اللجنة الباريزية — هي أكبر معين في القرون الوسطى عصد إلى النهاية الصنيين في نشاطهم وهياً أسباب الحساسية الدينية وفتح لأمم المغرب ونشاطهم طرقاً جديدة في العمل ومن الأفكار الفرنسية نشأت بعد نزاع قديم فكرة الوطنية متجنية في صورة مؤثرة ذات بأس ومضاء بحيث خضعت السياسة لسنطافها ووضعت أسس الوحدة الوطنية. والأفكار الفرنسية هي التي ظهرت رياح الإصلاح والنهضة وقادت الأفكار القديمة إلى التجديد وأثارت العالم بقبس أنوارها. والأفكار الفرنسية هي التي حنت إلى العالم في عهد فولتير ومونتسكيو أفكار التسامح الديني والعدل الاجتماعي والحق والإنسانية. والفكر الفرنسي هو الذي سنّ المبادئ الخالدة في دساتير الأمم المتحدة بأسرها. فمن فرنسا نشأت حرية البطحك وحرية اليونان وحرية إيطاليا وحرية العثمانية. وفرنسا مهد الأدب تنشر أنواره فتناوله الأجانب وتقبله بقبول حسن وهي البلاد التي اشتهرت بعنائها وصناعها.

ومن كنية باريز اخترع أمبير اختراعاته التي لولاها لما اخترع التلغراف اللاسلكي والسلكي والتلفون ولم تتم عجائب الكهربائية الصناعية. وفي كنية باريز أحدث باستور انقلابه العظيم في علم الحياة الذي جعله أحسن إلى الإنسانية في العالم أجمع. وفي كنية باريز حقق برتلو الطريقة الصناعية في المواد العضوية فنشأت منها الكيماة الحديثة. وفي كنية باريز اخترع كوري وقرينته الراديوم واهتزت في أيديها ذراته. وفي معامل كنية باريز أوقد موانسان للمرة الأولى التور الكهربائي كما اخترع غيره التصوير الشمسي

هذه شذرة صغيرة في وصف كلية باريز التي ما زالت الحكومة الفرنسية تنفق عليها النفقات الطائلة واخسون لا ينفكون عن إعطائها المنائح الكبيرة فقد وهبها كارنيجي الحسن الأمير كي كثيراً كما أن بعض الروسيين منحوها مالاً جزيلاً والفرنسيين يعطونها عن سعة. فحيا الله يوماً تقام لكل قطر من أقطار البلاد العربية كلية مثل هذه تدرس أبناءها عنوم البشر بنفهم وتكون محتفلاً بالوطنية الصحيحة كما تكونها كليات الممالك الصغرى في الغرب كالبلجيكا وهولاندة والدانيسرك والسويد ونروج وسويسرا واخر وبولونيا وفنلندا والبرتغال.

حدائق باريز ومتاحفها

١٨

يطول بنا نفس الكلام إذا أردنا الإفاضة في كل فرع من فروع العمران بباريز وكلها مما يحتاج إلى صفحات كبيرة وربما ملّ القاريء قبل أن ينل الكاتب. ولقد عانيت مدة مقامي في هذه العاصمة أن لا أضيع ساعة من وقتي إلا في البحث عن جمعية أو إنسان وزيادة معهد فيه نموذج من ارتقاء العقول ووفرة العلم وحذق الأيدي وبسطة العيش وفصل الرفاهية وما جعلته لأوقات الفراغ غشيان الحدائق والمتاحف ودور التمثيل والسناج.

في باريز حدائق كثيرة عامة ومنها الصغير الخاص بحي أو شارع صغير ويسمونها سكارار وهي كننة إنكليزية معناها ساحة مربعة أو حديقة يحيط بها حاجز من قضبان حديد وتكون في ميدان عام وعددها ٣٦ حديقة تصني كل حاضرة من حواضر البلاد العثمانية أن يكون لها من نوعها واحدة فقط بانتظامها وحسن تعهدها. أما الحدائق الكبرى فعدها